شرح كتاب التوحيد

لفضيلة الشيخ

د. صالح بن عبدالعزيز بن عثمان سندي

الأستاذ المساعد بقسم العقيدة بكلية الدعوة بالجامعة الإسلامية

[الشريط 01]

المادة لم تُراجَع من قِبل الشيخ

الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له إقرارا به وتوحيدا، وأشهد أن نبينا محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما مزيدا، وبعد؛

ففي هذه الليلةِ ليلةِ الاثنين، التاسع عشر من شهر ربيع الأول من عام ثلاثين وأربع مائة بعد الألف من هجرة النبي صلى الله عليه وسلم، نجتمع في هذا المسجد المبارك لنتدارس في متنٍ عظيم النفع، ألا وهو: كتاب التوحيد للشيخ الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب رحمه الله.

إن من نعمة الله على أهل النهج المحمدي، والمسلك السَّلفيّ، أن يكون لهم عناية فائقة بكتب التوحيد، فإن أهل العلم لم يزالوا معلمين ومدرسين، ولم يزل طلبة العلم حرصين وجادّين في تحصيل علم التوحيد، فإنّ كلَّ خير في الدنيا والآخرة فهو من ثمرات هذا العلم، والله عز وجل أكبر من كل شيء، فالعلم به أكبر من كل علم.

لم يزل مشايخنا وأهل العلم فينا ذو عناية فائقة بهذا الكتاب العظيم، ألا وهو كتاب التوحيد، ولم تزل السلسلة مستمرة في دراسة هذا الكتاب، لم يزل هناك من يدرسه، ولم يزل هناك من يتعلّمه، وقد حصل بسبب هذا الكتاب وبسبب العنايةِ به خيرٌ عظيم، ولما حصلت الغفلة والانشغال عن كتب التوحيد –ولا سيما هذا الكتاب– دبّ الضعف في التوحيد علما وعملا ودعوة، بخلاف الأمر في السابق، لاسيما في هذه البلاد، وقد أدركت شيخ الإسلام في وقته الشيخ عبد العزيز بن باز – رحمه الله رحمة واسعة – وله عناية عظيمة بهذا الكتاب؛ حتى إنه كان يُقرَأ عليه في الأسبوع الواحد أكثرَ من مرة، وما أنْ ينتهي من الكتاب إلا ويعود إليه مرة أخرى، وهكذا إخوانه من أهل العلم، فمن فضل الله عز وجل على طالب العلم أن يكون له همّة منصرفة لدراسة علم التوحيد، ولاسيما هذا الكتاب المبارك.

وقد رأيت أن أجعل الدرس الأول مقدمةً في التعريف بالمؤلِّف و بالمؤلَّف، ولي في هذا غرض وهو حثُّ الإخوة على حفظ هذا الكتاب العظيم، بحيث أنه من الدرس القادم يكون من كان له رغبة في حفظه مستعدّا لذلك، وقد تبرع أحد الإخوة من طلبة العلم –الأخ أبو صالح لبصار جزاه الله خيرا– أن يُسمِّع من أراد من الإخوة بعد انتهاء الدرس، فحُثّوا الإخوة على أن يهتموا بهذا الأمر، وهي فرصة أن يحفظ الإنيان هذا المتن العظيم.

أما عن **التعريف بالمؤلِّف:** فإنه شيخ الإسلام الإمام المجدد أبو علي محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي المُشَرَّفِيّ التّميميّ النّجديّ، ولد رحمه الله سنة خمس عشرة ومائة بعد الألف من الهجرة في بلدة العُيَيْنَة –من بلدات نجد–، وتوفي رحمه الله بالدِّرْعِيَّة –وهي قرية مُتاخِمَة للرياض– سنة ستٍّ ومائتين بعد الألف من الهجرة، وقد نَيَّفَ على إحدى وتسعين سنة، قضاها –رحمه الله– في العلم والتعليم والدعوة والجهاد، وكان يوم وفاته يوما مشهودا، ورثاه كثير من أهل العلم.

كان رحمه الله ذا زهد عظيم في الدنيا، حتى إنه لما توفي ذكر المؤرخون أنه لم تُقسَم له تركة، ما كان عنده شيء –رحمه الله–

نشأ الشيخ محمد –رحمه الله– نشأة علمية دينية، فبيته بيت علم وشرف، أبوه –الشيخ عبد الوهاب– كان فقيها حنبليا وقاضيا في العيينة ثم في حُرَيْمِلاء، وأما جده سليمان فإنه كان علّامة نجد ومُفتيها وأكبر علمائها في وقته.

نشأ الشيخ –رحمه الله– في هذا البيت العلمي وفي هذه البِيئة العلمية نشأة صالحة، حفظ القرآن ولم يبلغ العاشرة من عُمُره، وأكبَّ على مطالعة كتب الحديث وكتب أهل العلم لاسيما كتب شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم، وبلغ –رحمه الله– قبل الثانية عشر من عمره، وكان مشهورا بين أقرانه بحدة الذكاء وسرعة الحفظ وسرعة الكتابة، حتى إن أباه كان يذكر أنه كان يستفيد من ابنه، وكان يتناقش مع أبيه وعمه، كلاهما من أهل العلم.

ومنذ أن بلغ أو بُعَيدَ ذلك، طلب أن يحج فسمح له والده رحمه الله وعمره في ذلك الوقت ثلاث عشرة سنة، ذهب إلى مكة ثم عرّج بزيارة المدينة ومكث فيها شهرين يطلب العلم، هذا يدلك على أنه كان رحمه الله طرازا فريدا؛ تخيل شاب صغير عمره ثلاث عشرة سنة يترك أهله وبيته ويرحل في طلب العلم ويمكث في المدينة شهرين يأخذ عن أهل العلم فيها وعمرة ثلاث عشرة سنة، ثم إنه تتابعت رحلاته العلية رحمه الله، وقد أحصى بعض الباحثين المُدَدَ التي قضاها في السفر والترحال والعودة والسفر مرة أخرى لطلب العلم، فبلغت ما يزيد على عشر سنوات، ما بين ثنتي عشرة سنة إلى ست عشرة سنة، قضاها في حِلٍّ وترحال في طلب العلم.

والأقاليم التي رحل إليها في الطلب لم تتجاوز الحجاز والعراق والأحساء، وهي على وجه التفصيل: مكة والمدينة والأحساء والبصرة والزُّبَير –في العراق–، ويمكن على وجه الاحتمال –وأورد هذا بعض المؤرخين– أنه رحل أيضا إلى بغداد، والأمر محتمل،

وقد اتفاد رحمه الله من هذه الرحلة المتنوعة فوائدَ جمة منها: أنه جمع علوما إلى العلوم التي كانت تدرس في نجد، قد كانت شبه منحصرة في دراسة الفقه الحنبلي، لكنه لما زار تلك البِلدان وكانت آهِلَةً بأهل العلم، استفاد علوما جمّة: علوم الآلة، علوم الحديث، علوم التفسير وما يلتحق بها، كما أنه أصبح أكثر عناية بقضية التوحيد وبالعقيدة، وقد كان معتنيا بها من قبل، لكن زاد اهتمامه بها لما رحل تلك الرحلات والتقى ببعض العلماء السلفيين من أهل تلك الأمصار.

وأشهر من أخذ عنه الشيخ: والده وعمه والشيخ عبد الله بن إبراهيم بن سيف النجدي المَدَنِيّ والشيخ محمد حياة بن إبراهيم السِّنديّ المدني والشيخ المجموعيّ والشيخ الدّغَستَانِيّ –من علماء الشام، وقد التقاه في الحجاز– والشيخ عبد الله بن عبد اللطيف الأحسائيّ وغيرهم من أهل العلم الذين أخد عنهم الشيخ محمد رحمه الله وغفر لنا وله.

الشيخ محمد رحمه الله –كما أسلفت– بارك الله في عمُره، نَيَّفَ على إحدى وتسعين سنة، عنايته بالعلم منذ صغره، قبل العاشرة أتم حفظ كتاب الله، يعني لك أن تتخيل أنه عاش أكثر من ثمانين سنة في العلم والتعليم والدعوة والجهاد في سبيل الله عز وجل، ولذلك خصل بسبب هذا الشيخ من الخير أمر عظيم جدا.

والناسُ ألفٌ مِنهُمُ كواحدٍ　　وواحدٌ كالألفِ إنْ أمرٌ عَنَى

وترى كثيرًا ولكنْ لا ترى أحدًا　　وقد ترى هِمّةَ الآلافِ في رجُلِ

وهذا حصل للشيخ رحمه الله، وقد تميز رحمه الله بهمة عالية وصبر مجاهدة وحرص عظيم على هداية الناس، وقد ذكر المؤرخون أنه لما حجّ دعا الله عز وجل عند المُلْتَزَم أن ينصر الله الإسلام به وأن يجعل له قبولا في الناس، ونرجوا أن عز وجل قد استجاب دعاءه، فقد حصل بدعوة الشيخ من الخير العظيم والتجديد لهذا الدين ما لا يخفى على كل منصف، ولك أن تتخيل: رجلٌ واحد، نشأ غريبا في فكره وما يدعو إليه، حتى إنه حُورِب أشد المحاربة، ضُرب واعتُدي عليه وهُدد بالقتل مرّات، وكانت الثمرة هذه الدعوةُ العظيمةُ التي نتفيّأ ظلالها، نشأ بسبب دعوته دولة كاملة تدعو وتقوم على التوحيد، ونفع الله بعلمه ودعوته وكتبه الجمّ الغفير من الناس من ذلك الوقت، وإلى اليوم، وإلى ما شاء الله، وهذا فضل من الله عز وجل، وهو سبحانه يؤتيه من يشاء.

لم يكن –ولا شك– الطريق –كما أسلفت– بالورود للشيخ، كانت هناك عقبات عظيمة، منها عقبات في طريق طلب العلم، من ذلك أنه لما كان راجعا من مكة إلى المدينة لغرض الطلب –وقد حج رحمه الله مرة أو مرتين أو ثلاث مرات على خلاف بيم المؤرخين، لكنها أكثر من مرة قطعا– تَرَصّدَ له بعض الأعراب فضربوه وأخذوا ما معه، وتعطل عن الرحلة إلى الشام –كان ينوي الذهاب إلى الشام–، فذهب الحَاجُّ الشّاميّ وما استطاع أن يلحق بهم بسبب هذه الحادثة، وهذا فيه خير عظيم؛ فإنه ارتحل إلى

حريملاء وبدأ دعوتَه، لأن والده قد حصلت له واقعة، فانتقل من العيينة إلى حريملاء، وصار قاضيا هناك، فعاد الشيخ رحمه الله إلى حريملاء، وبدأ يدعو إلى الله عز وجل لكن الانطلاقة الفعلية لدعوته إنما بدأت بعد وفاة والده عن ثلاث وخمسين ومائة بعد الألف.

بدأ رحمه الله ينشط في الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى وينكر المنكرات العظيمة التي تقدح في التوحيد، وحصل أن تَسَوَّرَ عليه بعض أولئك الذين آذاهم ما يقوم به الشيخ رحمه الله من الدعوة إلى التوحيد، تسوّروا عليه وأرادوا قتله، وتنبه لذلك بعض جيرانه وصرخوا لهذا العدو حتى ذهب، فأدرك الشيخ رحمه الله أنه في خطر، فارتحل إلى العيية، وفي بداية الأمر آواه أميرها: ابن معَمَّر، وسانده وبدأ الشيخ يدعو إلى الله وينكر المنكرات لاسيما ما يتعلق منها بجانب الاعتقاد، وحصل بهذا خير عظيم، إلا أنّ هذا الأمير قد تراجع عن موقفه بسبب أنه قد حذره من ذلك وأنذره حاكمُ الأحساء، فخاف أن يقطع عنه ما كان يعطيه إياه من العطاء السنوي، فطلب من الشيخ أن يرحل ودَبَّرَ له مكيدة، وذلك أنه أمر حارسا له أن يتبعه فإذا خرج إلى الصحراء قتله وبهذا –بزعمه– فتنة ابن عبد الوهاب، فكان الشيخ رحمه الله يمشي على قدمه وهذا الحارس راكب خلفهن، لكنّ رحمةَ الله سبحانه بهذا الشيخ كانت أعظم؛ فأصاب هذا الفارس رعب عظيم من الشيخ فما استطاع أن يَمَسَّه بسوء ورجع، ونجى الله الشيخ، ووصل إلى الدرعية، ونزل على أحد الأشخاص هناك، ثم سمع به أميرُها الإمام ابن سُعود رحمه الله، وحصل ما تعلمون من التقاء الإمامين، وحصول العهد والميثاق بينهما على الدعوة ونصرة التوحيد، وأثمر ذلك –والفضل لله والمنة– هذه الدعوة، وكان الشيخ في ذلك الوقت هو الآمر الناهي، والإمام ابن سعود هو المنفِّذ، الشيخ هو الذي يحكم ويأمر والإمام ابن سعود هو الذي ينفذ، وحصل من إقامة الحدود وإزالة المنكرات والجهاد في سبيل الله ما هو معلوم ومُدَوَّن في سيرة هذا الإمام، حتى إذا شعر الشيخ أن الأمور قد استقرت، ألقى بمقاليد الحكم إلى الإمام ابن سعود وتفرّغ هو للتعليم والعبادة.

ولم تك دعوة الشيخ رحمه الله بعد أن وصل إلى حريملاء، بل كانت قبل ذلك، حتى وهو في طريق الطلب –طلب العلم– ما كان رحمه الله غافلا عن قضية الدعوة كما هي حال كثير من طلبة العلم اليوم، بل كان رحمه الله يجمع بين العلم والعمل، وهو يطلب العلم يدعو إلى الله، يأمر بالمعروف، ينهى عن المنكر، وقد حصلت له واقعة مشهورة، وهو أنه لما كان بالبصرة يطلب العلم، كان يُنكِر ما يراه من مظاهر الشرك، فتجمّع عليه أهل البدع والخرافة وضربوه وأخرجوه من البصرة في حذو الظهيرة، فكان يمشي رحمه الله وليس معه طعام ولا شراب تحت حرِّ الشمس حتى إنه أشرف على الهلاك، فلقيه رجل من أهل الزُّبير على حمار له، فسقاه وحمله معه إلى مدينة الزُّبير، ونجاه الله عز وجل.

المقصود، أن الشيخ رحمه الله، كانت قضيةُ الدعوة إلى التوحيد قضيةً تشغل باله، كان باذلا نفسَه في سبيل الله، وهكذا العلماء الصادقون، سعيد بن المسيّب رحمه الله، ذُكر في ترجمته أنه كان يرى نفسَه في ذات الله أهونَ من الذباب، وذكر ابن رجب رحمه الله في جامع العلوم والحكم عن بعض السلف أنهم قالوا: وَدَدْنا لو أنّ لحومنا قُرِّضت بالمقاريض وأنّ الناس ما عصوا الله عز وجل، وكان عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز رحمهما الله يقول لأبيه: وددت أنه قد غلت بنا القدور –بي وبك– في سبيل الله عز وجل، كان هناك حرص، وكان هناك عناية عظيمة، وكان هناك بذل في سبيل الله سبحانه وتعالى، يحرص الواحد من هؤلاء الأعلام الأخيار أشدّ الحرص على ألا يُعصى اللهُ سبحانه وتعالى، أنه يعتقد أن الله عز وجل أهلٌ أن يُذكر فلا يُنسى، وأن يُشكر فلا يُكفر، وأن يُطاع فلا يُعصى، فلله عز وجل في نفسه تعظيمٌ، أن يرى المنكر، وأن يُعصى، وأن يُشرَك به، وهو لا يحرك ساكنا.

فهذه دروس وعبر من حياة الشيخ رحمه الله، ينبغي أن يقف عندها طالب العلم حينما يريد أن يدرس شيئا من علم هذا الإمام.

أما عن هذا الكتاب العظيم، وهو كتاب التوحيد، اسمه المختصر "كتاب التوحيد"، واسمه التام "كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد".

أما **مكان تأليفه:** فقد اختلف المؤرخون واهل العلم في ذلك؛ ذكر الشيخ حُسين بن غَنَّام رحمه الله –مؤرخ الدعوة، وأعظم من أرّخ لتاريخ هذا الإمام لأنه من تلاميذه– في تاريخه أن الشيخ ألّفه بحريملاء، لما رجع، ورأي آخر ذكره الشيخ عبد الرحمن بن حسن –حفيد الإمام– أن الشيخ رحمه الله ألفه لما كان يطلب العلم بالبصرة، جمعه من كتي الحديث التي كانت بمدارس البصرة، هكذا نص رحمه الله، والذي يظهر –والله أعلم– أن ما ذكره الشيخ عبد الرحمن فيه زيادة علم، وهذا الأقرب، أن الشيخ رحمه الله بدأ تأليف الكتاب بالبصرة، وجمعا بين هذا وما ذكره الشيخ ابن غنّام، يُقال: إنه حرَّرَ الكتاب واستتمّ تأليفَه في نجد في حريملاء لما رجع

عِدَّةُ أبواب هذا الكتاب: من أهل العلم من يقول إنها ستة وستون بابا، ومن أهل العلم من يقول إنها سبعة وستون بابا، والخلاف راجع إلى المُفْتَتَحِ لهذا الكتاب؛ هل هو باب أو هو مجرد مقدمة؟ إن الشيخ قال: بسم الله الرحمن الرحيم، كتاب التوحيد وقول الله عز وجل ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾، سرد في هذه القطعة خمس آيات وحديثا وأثرا ثم المسائل، ذكر أربعا وعشرين مسألة، هل أراد الشيخ بهذا أنه الباب الأول؟ –ولأنه المقدمة اكتفى بالبسملة وأنه كتاب التوحيد الذي يعبر عن مضمون الكتاب– أو أراد أنه مقدمة والأبواب تبدأ من الباب الثاني الذي يليه؟ والأظهر –والله أعلم– أن هذه المقدمة باب؛ لأن الشيخ عاملها معاملة سائر الأبواب وذكر فيها المسائل كما ذكر في سائر الأبواب، والأمر في هذا يسير.

منهج الشيخ في كتاب التوحيد: كتاب التوحيد، كل من له ممارسة له، يدرك أنه كتاب بديعُ الوضعِ عظيمُ النفعِ، ومنهج الشيخ رحمه الله فيه أنه قسّمه رحمه الله إلى أبواب، وهذه الأبواب –في الغالب الأعم– كان يعتني فيها بتقديم الأعم على الأخص، والأهم على المهم، هذا في الغالب، وإلا فإنه قد يخالف ذلك أحيانا.

ضمّن الشيخ رحمه الله هذه الأبواب موضوع التوحيد، وكان رحمه الله جامعا في هذا الكتاب لأنواع التوحيد الثلاثة: الألوهية والربوبية والأسماء والصفات، لكنه اقتضب كثيرا في الربوبية والأسماء والصفات وكان النصيب الأكبر من هذا الكتاب لتوحيد الألوهية، ويظهر أن سبب ذلك راجع إلى أمرين:

<u>الأمر الأول:</u> أن الحاجة أَمَسُّ إلى توحيد الألوهية؛ فإن الخلل الذي حصل في الأمة –لاسيما في عصر الشيخ– كان في جانب توحيد الألوهية أعظم؛

<u>والأمر الثاني:</u> أن عناية أهل العلم بجانب توحيد الربوبية والأسماء والصفات كثيرة، كثُرت المؤلفات من قديم في توحيد الربوبية وفي توحيد الأسماء والصفات، أما الألوهية فإنه قد أجمع علماء التوحيد أنه لم يؤلف كتاب على منوال كتاب الشيخ من حيث الجمع وحسن الترتيب والتقسيم، لم يؤلف قبل كتاب الشيخ كتاب، كان ما يتعلق بتوحيد العبادة في الكتب المصنفة منثورا في أعطاف في كتب أهل العلم، أما أن يؤلف كتاب مفرد فيه جمع لجُلِّ مسائل توحيد العبادة مع تضمين ذلك الأدلة والآثار، هذا ما حصل قبل الشيخ.

يقول قائل: كلمة الإخلاص وتحقيق معناها لابن رجب؟ يقال هذه الرسالة في جانب معين وجزية معينة، ولا يمكن ن تقارن بكتاب التوحيد، وإنما قد يقال كتاب تجريد التوحيد المفيد للمقريزي المُتوفَّى سنة خمس وأربعين وثمان ومائتين، لكن أيضا هذا

الكتاب لا يمكن أن يُقارَن بكتاب التوحيد للشيخ محمد، كتاب تجريد التوحيد لا شك أن فيه فوائد وفيه نفع وفيه كلام حسن عن التوحيد وعن ما يُضادّ التوحيد، لكن لا يمكن أن يُقارن بكتاب التوحيد من حيث المادة العلمية ومن حيث الجمع ومن حيث التقسيم، وهذا الكتاب –كتاب التجريد- في الحقيقة ما هو إلا مجموعٌ من كلام ابن القيم، وكان المقريزي رحمه الله يؤلف بين الكلام ويربط بينه، وإلا فإنه –في جملته مأخوذ من كتب ابن القيم رحمه الله ينقله بنصه رحمه الله.

المقصود أن الكتابَ كتابٌ نسيجُ وحده، لم يُسبق إليه، ولم يُلحق فيه البتة، وهذه –كما ذكرت- كلمة إجماع بين علماء التوحيد، الذين درسوا وعرفا وكانوا ذو أهل خبرة بهذا الكتاب العظيم.

مادّة الكتاب: هذا الكتاب جمع فيه الشيخ رحمه الله الآيات والأحاديث وجملة من الآثار وشيئا من كلام أهل العلم المتعلق بتوحيد العبادة من حيث بيان أهميته ومن حيث تفيره وبيان معناه ومن حيث ذكر أفراده وأيضا من حيث ذكر ما يضاده أو يقدح فيه، وقد جمع فيه رحمه الله جملة من الآيات وجملة من الأحاديث.

تبلغ الأحاديث في الكتاب خمسا وعشرين ومائة (125)، نصفها تقريبا من الصحيحين أو أحدهما، هذا يدلك على عناية الشيخ رحمه الله بأحاديث كتاب التوحيد، الشيخ رحمه الله علّامة محدِّث، وله عناية عظيمه بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، وله مجموع حديثِيّ معروف عند أهل العلم، جمع فيه أحاديث الأحكام وبوّبها على الأبواب، وهذا الكتاب من أنفس الكتب ومن أوعبها لأحاديث الأحكام، حتى إنه يفوق في عدد أحاديثه ما في المنتقي للمَجْدِ ابن تيميّة رحمه الله، وهذا يدلك على عناية الشيخ رحمه الله بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم.

المقصود أن أحاديث كتاب التوحيد نصفها تقريبا من الصحيحين، وجُلها لا تخرج عن الكتب الستة، وهي في مُجملها أحاديث صحيحة متفَقٌ على صحتها، أو أحاديث صحيحة أو حسنة، وفي بعض تلك الأحاديث –وهي قلّة قليلة منها- ما انتُقِد في إسناده، ومنى ذلك ما له شواهد يتقوى بها هذا الحديث أو ذاك، حتي يصل إلى درجة الاحتجاج، ومنها ما هو ضعيف ولكن تشهد له قواعد الشرع ونصوصه، لكن لم يَبْنِ الشيخ بابا من أبواب التوحيد قطّ على حديث ضعيف، كذلك نزّه الشيخ كتابه عن حديث موضوع أو حديث اتُّفِق على ضعفه، هذا غير موجود في كتاب التوحيد، وما انتُقد على الشيخ من الأحاديث التي فيها كلام فإن الشيخ قد سبقه إلى تصحيحها أو تحسينها بعض أهل العلم، ولا يوجد حديث اتُّفق على ضعفه في هذا الكتاب، وهذا –ولا شك- لا يقدح في إمامة الشيخ أو تضلّعه في علم الحديث، من الذي سلم في أحاديث أثبتها أو احتج بها.

أيضا للشيخ رحمه الله في هذا الكتاب فقه نفيس جدا؛ ويظهر فقه الشيخ في هذا الكتاب من ثلاث جهات:

أولا: في تبويبه لأبواب الكتاب؛ فيظهر في هذا فقه نفيس للشيخ رحمه الله يذكِّر بفقه افمام البخاري، فإن فقهَه في تبويبه؛

وثانيا: في ما يورده من نصوص رحمه الله؛ فإنه كان ينتقي في ما يورده مما هو أدلّ على المراد من غيره؛

وأمر ثالث يظهر به فقه الشيخ: هو في المسائل التي كان يذيِّل بها الأبواب، فإن في هذه المسائل فقها نفيسا وعظيما جدا، الشيخ رحمه الله ذكر ما يقرب من ست مائة من المسائل وعلى وجه التحديد عدّها بعض الباحثين خمس مائة وإحدى وتسعين (591) مسألة، وهي من أعظم ما يكزن من الفائدة، ينبغي على طالب العلم أن يكون له عناية بها.

وكان للشيخ أيضا عناية بكلام أهل العلم، ورأسهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقد حلّى كتابَه بجملة من الآثار عن الصحابة ثم عن التابعين وأيضا مَن بعدهم من أهل العلم.

هذا الكتاب أثنى عليه أهل العلم ثناء عظيما اجتمعت كلمتهم على أن الشيخ قد أحسن فيه وأجاد وبلغ الغاية والمراد، وأنه لم يُنسَج على منواله، وأنه لم يسبقه إليه سابق ولن يلحقه إليه لاحق، وأنه كتاب عظيم النفع بديع الوضع، أثنَوا عليه كثيرا نثرا ونظما، وحثُّوا على حفظه والعناية بدراسته، أنه كتاب –في الحقيقة- كتاب فريد في بابه، حتى قال حسّانُ الدّعوةِ الشيخُ ابنُ سَحْمان رحمه الله:

قد ألَّفَ الشيخُ في التوحيد مختصرا   يكفي أخا اللُّبِّ إيضاحا وتِبيانَا

فيـــه البـيـــان لتوحيد الإله بما   قد يفعلُ المرء للطاعات إيمانا

فاشدُدْ يدَيك بهذا الأصلِ معتمدا   يورثْـك في مـــا سواه اللهُ عِرفانا

وقل جزى الله شيخ المسلمين بما   أشـــاد للتـــوحيد أركـــانـــا

رحمة الله على الشيخ وجزاه عنا خيرا.

أما طبعات الكتاب: فإن الكتاب طبعاته كثيرة ويصعب –في الحقيقة- حصرها وتَعدادها، كما أن للعلماء على هذا الكتاب جهودٌ عظيمة.

شُرح هذا الكتاب شرحا كثيرا مختلفا، منه الشرح الموجز الذي إنما هو عبارة عن تعليقات، ومنه شرح متوسط، ومنه شرح مبسوط ومُوسَّع:

أول الشروح المؤلَّفة على هذا الكتاب هو التيسير، تيسير العزيز الحميد للشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، حفيد الإمام، المتوفى سنة ألف ومائتين وثلاثا وثلاثين (1233)، هذا الكتاب هو أهم شروح الكتاب، ومن أوسع هذه الشروح وأدقها والشيخ سليمان رحمه الله إمام فذٌّ على علم عظيم بالتوحيد وبحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وبالرجال والعلل، ولذلك كان ينبه تنبيهات مهمة لاسيما في مسألة الحديث فإن الشيخ رحمه الله –في ما يظهر- قد كتب في بعض الأحاديث من حفظه، ولذلك حصل عنده رواية بالمعنى له، وقد يحصلههم في العزو –وهو قليل-، كان يتتبعه وينبه عليه في ذلك الشيخ سليمان رحمه الله في التيسير.

توفي الشيخ رحمه الله قبل أن يُتِمّ الكتاب، انتهت المُسوَّدة التي وُجدت للشيخ رحمه الله عند نهاية باب ما جاء في منكري القدر، بقي عليه سبعة أبواب.

ثم من حيث الترتيب يأتي بعد ذلك شرح الشيخ عبد الهادي العُجَيْلي المسمى بالتجريد، والشيخ عبد الهادي من علماء المنطقة الجنوبية بالمملكة، توفي ستة اثنتين وستين ومائتين وألف (1262)، ويعتبر من حيث التاريخ الشارحُ الثاني من الشروح الموجودة والمطبوعة لكتاب التوحيد وفيه فوائد وعناية لاسيما في باب اللغة وتحرير المعاني التي أرادها الشيخ في الكتاب.

يلي ذلك كتاب فتح الحميد شرح كتاب التوحيد لعثمان بن منصور التميميّ، المتوفي سنة اثنتين وثمانين و مائتين وألف (1282)، وهذا الكتاب أوسع شروح كتاب التوحيد، لكن لم يحفل به علماء التوحيد ولم يحصل له انتشار، وما طُبع إلا حديثا عن رسالتين علميتين، ومؤلف معروفٌ له مواقف سلبية من دعوة الشيخ محمد رحمه الله، و هذا الكتاب له فيه كلام حسن تحريرات جيدة، وفيه أيضا سقطات وهفوات، وقد حذّر منه بعض أئمة التوحيد كالشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن رحمه الله، فإنه بيّن أن له في هذا الكتاب سقطات لا يحصيها إلا الله عز وجل، من ذلك أنه يورد أحيانا في هذا الكتاب كلام أهل السنة وكلام المتكلمين، وربما يرجح خلاف مذهب أهل السنة والجماعة، كما تجده في تفسير قول الله عز وجل: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا

﴿لِيَعْبُدُونِ﴾، له فيها كلام نقله عن بعض المتكلمين خلافا لأهل السنة والجماعة، وله من هذا نظائر، المقصود أن هذا الكتاب ليس من الكتب التي قد حفِ بها واهتم به علماء التوحيد.

الشرح الذي يليه فتح المجيد للشيخ الإمام المجدد الثاني حفيد المؤلف، الشيخ عبد الرحمن بن حسن رحمه الله، وهذا الكتاب يقابل كتاب التيسير؛ فإذا كان كتاب التيسير له الأوَّلِيَّة والسبق، فإن لهذا الكتاب الشُّهرة والانتشار، وهو أشهر شروح كتاب التوحيد، والشيخ عبد الرحمن رحمه الله ألّفه بعد وفاة ابن عمّه الشيخ سليمان بن عبد الله، وقد طال عمر الشيخ، فإنه توفي سنة خمس وثمانين ومائتين وألف (1285)، وكتابه تهذيب للتيسير لكنه ضمنه فوائد حسنة وزوائد على ما في شرح الشيخ سليمان في التيسير، وللشيخ عبد الرحمن أيضا اختصار للفتح، وضمّنه أيضا –على اختصاره– زوائد على فتح المجيد، شرحه فتح المجيد وهذا اختصار، وربما يسميها بعض أهل العلم: حاشية على كتاب التوحيد، وهي المشهورة بـ: قرة عيون الموحدين، وقد سماها ابنه الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن، لم يسميها الشيخ عبد الرحمن وإنما سماها بذلك تلميذه الشيخ عبد اللطيف رحمهما الله رحمة واسعة، وهي حاشية من أنفس الحواشي على كتاب التوحيد.

أيضا، من الشروح المهمة، إبطال التنديد باختصار شرح كتاب التوحيد للشيخ حَمَد بن عتيق رحمه الله، والشيخ حمد رحمه الله من تلاميذ الشيخ عبد الرحمن توفي ستة إحدى وثلاثمائة وألف (1301)، وكتابه هذا من الشروح الحسنة، اختصر فيه التيسير، وزاد فيه زوائدَ نفيسة.

أيضا من الجهود على هذا الكتاب، حاشية مختصرة ودقيقة جدا للشيخ عبد الرحمن بن سعدي رحمه الله، المتوفى سنة ست وسبعين وثلاثمائة وألف (1376)، سماها: القول السديد، ضمنها رحمه الله غُررا من القواعد والأصول والضوابط في باب التوحيد، ولم يستوعب الكلام على كتاب التوحيد كلِّه، بل ربما أغفل الكلام على بعض أبواب كتاب التوحيد.

أيضا من الشروح والحواشي على هذا الكتاب، حاشية نفيسة جدا، وهي من أهم الحواشي: حاشية كتاب التوحيد للشيخ عبد الرحمن بن قاسم رحمه الله، المتوفى سنة ألف وثلاثمائة واثنين وتسعين (1392)، حاشيته هذه ضمنها جل ما في شرحي حفيديه: الشيخ سليمان والشيخ عبد الرحمن، وأيضا ما اقتبسه من علم مشايخه: الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف والشيخ سعد بن حمد بن عتيق وأيضا الشيخ محمد بن إبراهيم رحمهم الله وغيرهم من أهل العلم، لذلك هذه الحاشيةُ حاشيةٌ نفيسة جدا.

هناك شروح معاصرة، وعناية أهل العلم بهذا الكتاب لم تزل ولله الحمد، من أشهر تلك الشروح المعاصرة:

القول المفيد شرح الشيخ ابن عثيمين رحمه اللهن وهو شرح نفيس، وفيه تحريرات نافعات،

كذلك إعانة المستفيد للشيخ صالح الفوزان حفظه الله،

وكذلك التمهيد للشيخ صالح آل الشيخ، وغيرهم من أهل العلم،

المقصود أن الكتب والمؤلفات والحواشي والدراسات على هذا الكتاب كثيرة، وهي مما يطلعك على أهمية هذا الكتاب، وعلى عظيم النفع الذي حصل به، وقد نفع الله عز وجل بهذا الكتاب، وحصل به خير عظيم.

ومما يُستَملَحُ ويحسُن أن يُذكر في هذا المقام قصة حكاها الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله، وهي موجودة في فتاوي الشيخ (75/1)، قصة حكاها الشيخ عن أحد أهل العلم من أهل نجد واسمه عبد الرحمن البكري، ذكر الشيخ أنه من تلاميذ عمه الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف، وهو أنه كان يطلب العلم في نجد ثم رأى أن يدعو إلى التوحيد في عُمَان، فذهب إلى هناك وافتتح مدرسة يعلم فيها التوحيد، كما أن له تجارة، كان إذا قلّ المال في يده أخذ تجارة أو بضائع من بعض أهل تلك المناطق ورحل إلى الهند لكي

يحصِّل مالا ثم يعود، وربما جلس نصف سنة هناك، المقصود يقول: كان بجوار الدكان الذي كان يتاجر فيه عالم هنديّ له تلاميذ، وكان كلما ختم الدرس دعا على محمد بن عبد الوهاب، فسبه ولعنه وهم يُؤمِّنون، يقول: فأهمّ هذا الشيخ عبد الرحمن البكري، أَهَمَّهُ ذلك، وكان هذا الشيخ يمر به إذا انتهى من الدرس، ويقول له أنا أعرف العربية وأحي أن أسمعها من أهلها، يقول: فكنت أُضَيِّفُه وأُعطيه ماء باردا، فاهتدى إلى أن أخذ كتاب التوحيد وأزال غلافِه عنه حتى لا يُعرف المؤلف ووضعه على رَفٍّ عنده، ثم لما جاءه هذا الشيخ استأذنه في أن يحضر له بَطِّيخة، فتركه، ولما عاد إليه وجد أن هذا الشيخ قد مدّ يده إلى هذا الكتاب وأخذ ينظر فيه، فلما رجع سأله: لِمن هذا الكتاب فإن فيه نَفَسَ البخاري –وصدق رحمه الله، هذا الكتاب فيه شبه كبير بما بوّبه البخاري رحمه الله في صحيحه–، المقصود أن الشيخ رحمه الله أظهرَ جهلَه بهذا المؤلِّف ودعاه إلى أن يذهب إلى أحد الأشخاص –يبدو أنه من أهل التوحيد– عنده مكتبة، وذكر الشيخ محمد أنهما ذهبا إلى هذا الرجل وأعطاه الكتاب وقال: لمن هذا الكتاب فإن الشيخ يسأل عن مؤلفه؟ ففهم صاحبُ المكتبة الأمرَ ودعا بمجموعة التوحيد وقارن بين الكتابين وقال: هذا هو كتاب التوحيد للشيخ محمد بن عبد الوهاب، يقول الشيخ: فصرخ الرجل مغضبا فقال: محمد بن عبد الوهاب الكافر، ثم إنه توقف وقفة وتأمل في شأنه ثم قال: إن كان هذا الكتاب لمحمد بن عبد الوهاب فقد ظلمناه، وكان أن هذى الله هذا الشيخ إلى دعوة التوحيد بعد ذلك، وأصبح –كما يذكر الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله– أنه يدعو للشيخ محمد بعد أن يفرُغ من درسه بعد أن كان يدعو على الشيخ، وصار تلاميذ هذا الشيخ دعاة إلى التوحيد في نواحي الهند، وهذا من توفيق الله عز وجل وإنعامه على هذا الشيخ وعلى دعوة التوحيد.

لعَلَّنا نكتفي بهذا القدر، ولنا موعد إن شاء الله في الدرس القادم لنبدأ دراسة الباب الأول من أبواب هذا الكتاب.

وفقني الله وإياكم وسدّد خُطاي وخطاكم، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد.